المطلب الأول

أثر الوقف على المساجد

سبق أن تحدثت في المطلب الثاني من المبحث الأول في الفصل الأول عن أثر الوقف على المساجد، وذلك في معرض الحديث عن أهمية الوقف للدعوة، وكان تناولي للحديث عن المساجد لكونها من مؤسسات التعليم في السابق من العصور الإسلامية، وكونها المؤسسة الأولى والأساسية للتعليم، حيث كان رسول الله ﷺ يعلّم أصحابه في المسجد، وكان المسجد المؤسسة الأولى التي تقوم بتأهيل الدعاة، "فقد كان مسجده ﷺ بالمدينة جامعة يحتضن ثلة من كبار الصحابة * رضي الله عنهم ممن حفظوا للأمة دينها.

يقول الحافظ السخاوي-رحمه الله-[1] في معرض وصفه لأهل الصفة -ومحلها المسجد النبوي-:

"قوم أخلاهم الحق سبحانه وتعالى عن الركون لشيء من العروض وعصمهم من الافتتان بها عن المفروض، رفضوا الدنيا فلا يرجعون إلى ضرع ولا إلى زرع، ولا لسائر ما يثير الغل والحقد والحسد وسوء الطبع؛ بحيث كانوا هم الرجال الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله، وقفوا أنفسهم المطمئنة لسماع العلم وضبط السنة"[2].

---

* أمثال أبي هريرة وعبد الله بن مسعود وحذيفة ابن اليمان وغيرهم.

(١) هو الشيخ العلامة الرحالة الحافظ محمد بن عبدالرحمن بن محمد بن بكر بن عثمان بن محمد الملقب بشمس الدين أبو الخير وأبو عبدالله، ابن الزين — أو الجلال — أبي الفضل وأبي محمد، السخاوي الأصل نسبة إلى (سخا) بمصر القاهري مولدًا الشافعي، مذهبًا ولد في ربيع الأول سنة إحدى وثلاثين وثمانمائة بالقاهرة له مصنفات عديدة توفي سنة خمسة وتسعين وثمانمائة.

انظر: رجحان الكفة في بيان نبذة من أخبار أهل الصفة للسخاوي، تحقيق أبي عبيدة مشهور آل سليمان وأبي حذيفة الشقيرات، ص٣٤-٦٧.

(٢) انظر: رجحان الكفة في بيان نبذة من أخبار أهل الصفة- العلامة الحافظ محمد بن عبد الرحمن السخاوي- تحقيق أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان وأبي حذيفة أحمد الشقران-ص٨٨-٨٩-ط١-١٤١٥هـ/١٩٩٥-دار السلف للنشر والتوزيع-الرياض.

ولعـــل شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله- قد لخّص وظيفة المساجد فقال: "وكانت مواضع الأئمة ومجامع الأمة هي المساجد، فإن النبي ﷺ أسس مسجده المبارك على التقوى، ففيه الـــصلاة والقراءة والذكر وتعليم العلم، والخطب، وفيه السياسة وعقد الألوية والرايات وتأمير الأمراء وتعريف العرفاء وفيه يجتمع المسلمون عنده لما أهمهم من أمور دينهم ودنياهم" [1] .

لقد كانت للمسجد وظائف متعددة في السابق، وكان له الأثر الكبير في التعليم، ولكن مـــع ظهـــور التعليم النظامي من خلال المدارس والمعاهد العلمية والجامعات، انحسرت وظيفة المسجد في كونه مكان للعبادة والدروس والخطب، وبعض المحاضرات الشرعية، وعقد حلقات تحفيظ القرآن الكريم.

الـــشاهد مـــن ذلك: أنني سبق أن تحدثت عن أهمية المسجد للدعوة إلى الله وكونه من المؤســـسات التي أسهمت في تأهيل الدعاة، أما الآن فإنني سأتحدث بإيجاز شديد عن أثر الوقف علـــى المـــسجد باعتباره ميداناً من ميادين الدعوة إلى الله تعالى، والسبب في الإيجاز هنا لتلافي تكرار الحديث مع ما سبق عن المسجد.

إن المـــسجد مـــيدان عظيم من ميادين الدعوة إلى الله تعالى فيه تقام الصلوات وتؤدي خطـــب الجمعة وتعقد دروس العلم وتؤدى المحاضرات العلمية، لأجل تعليم الناس أمور دينهم وحلقـــات تحفيظ القرآن الكريم، فالمسجد هو الميدان الذي يلتقي فيه المسلمون في اليوم خمس مرات فضلاً عن اللقاء الأسبوعي الكبير في يوم الجمعة.

ولمـــا كان المسجـــد له أهمية عظيمة في الإسلام،" فإن الوقف الإسلامي كان ولا يزال مـــن المـــصادر الرئيسة في بناء المساجد في ديار المسلمين، كما تعد الجوامع والمساجد من أهم المرافق التي حظيت بعناية الواقفين، حيث يسعى إلى تعميرها وتشييدها وتزويدها باحتياجاتها من الفرش والبسط، وخزائن الكتب والإنفاق على العاملين فيها ويلحق بوقف المساجد كل مايعين المصلين على أداء فرضهم، ومن ذلك تهيئة المساجد بالفرش، والتدفئة في فصل الشتاء والتبريد في فـــصل الـــصيف وقد كان يوقف على كل مسجد ما يقوم به من أراضٍ ودور ومحلات وغير ذلـــك، مما يمكن من توفير الريع الكافي للصرف على المسجد والعاملين فيه وصيانته، ولقد كان

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى -٣٥/٣٩.

المسلمون يتسابقون إلى إقامة المساجد والصرف عليها والوقف لها" [1].

"إن المسجد هو المركز الأول للإشعاع الروحي والعلمي، لأنه مكان العبادة والتعليم وموطن التذكر والتفكير والتوجيه، ولم تكن رسالة المسجد في الإسلام مقصورة على الناحية الدينية وحدها، بل كانت المساجد -ولاتزال -مفتوحة الأبواب لايرد عنها طالب علم أو قاصد ثقافة.

لقد كان مسجد رسول الله ﷺ هو الجامعة الأولى التي ربَّى فيها رسول الله ﷺ أصحابه على يديه خير تربية، حتى فقهوا في دين الله تعالى، وقد سار التابعون على نهج الصحابة ﷺ فكانوا يجلسون في المساجد يعظون الناس ويعلمونهم أمور دينهم.

لكل ذلك فقد عنى المسلمون بأمر المساجد منذ فجر الإسلام، وأولوها رعايتهم وعنايتهم لأن لها أثراً جليلاً في توجيه المجتمع وفي الدعوة إلى الله تعالى" [2].

إن المساجد من أهم ميادين الدعوة إلى الله تعالى، وهي خير بقاع الأرض وقد تقدم الحديث عن فضلها وأثرها في إعداد الدعاة والعلماء.

لذا كان للوقف على المساجد أثر عظيم في الدعوة إلى الله تعالى؛ حيث يعمل الوقف على المساجد على تفعيل وظيفتها في المجتمع، ويعيد للمساجد وظائفها التي كانت تؤديها في المجتمع على مدى العصور الزاهرة للإسلام.

"إن المسجد كان النواة الأولى للدعوة إلى الله تعالى، وكانت الأوقاف التي حبست عليه من أهم العوامل التي هيأت لهذه النواة أن تؤدي رسالتها كاملة في تبصير الأمة بحقائق دينها،

---

(١) انظر: الوقف وأثره في تشييد بنية الحضارة الإسلامية -د. إبراهيم المزيني ص١٤-ط١-ندوة المكتبات الوقفية ٢٥-٢٧ محرم ١٤٢٠هـ المدينة المنورة.

- الوقف شروطه وخصائصه د. عبد العزيز الداود ص١١٨- مجلة أضواء الشريعة عدد١١-١٤٠٠هـ كلية الشريعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية -الرياض.

- من روائع حضارتنا- مصطفى السباعي ص١٢٦ ومابعدها- الوقف والتنمية الإقتصادية- عبد الله بن سليمان الباحوث -ص١٥٣- بحث مقدم لمؤتمر الأوقاف الأول في المملكة العربية السعودية ط١-جامعة أم القرى ١٤٢٢هـ- مكة المكرمة.

(٢) انظر: أثر الوقف في نشر التعليم والثقافة د. ياسين بن ناصر الخطيب -ص٢٩٠- ٢٩١- ضمن بحوث مؤتمر الأوقاف الأول بمكة المكرمة ١٤٢٢هـ.

-انظر: رسالة المسجد في الإسلام-د. عبد العزيز المعيلم -ص١٠٦-١٠٨.

وفقه شريعتها، وفي إعداد الدعاة الذين جاهدوا في سبيله الله حق جهاده" [1].

"وقـــناعة من المؤسسات الخيرية بأثر المساجد كصمام أمان للمجتمعات ومطلبًا ملحًا للشعوب والأقليات الإسلامية في هذا الجانب المهم من التنمية، فقد تنافست هذه المؤسسات في إنشاء المساجد وتشييدها في بقاع إسلامية كثيرة؛ حيث بلغ مجموع المساجد التي أنشأتها بعض المؤســـسات الخيرية الدولية خارج حدودها - وأغلبها في قارات آسيا وأفريقيا وأوروبا — ما يزيد عن (١٢٧,٤٢٣) مسجدًا، قدّرت تكاليفها بما يقارب ١٢٦ مليون دولار" [2].

(١) انظر: مجالات الوقف المؤثرة في الدعوة إلى الله-د. محمد الدسوقي ص٩٣-٩٤ ضمن البحوث المقدمة لمؤتمر الأوقاف الأول بمكة المكرمة -١٤٢٢هـ.

(٢) القطاع الخيري ودعاوى الإرهاب، د. محمد بن عبدالله السلومي، ص٩١.